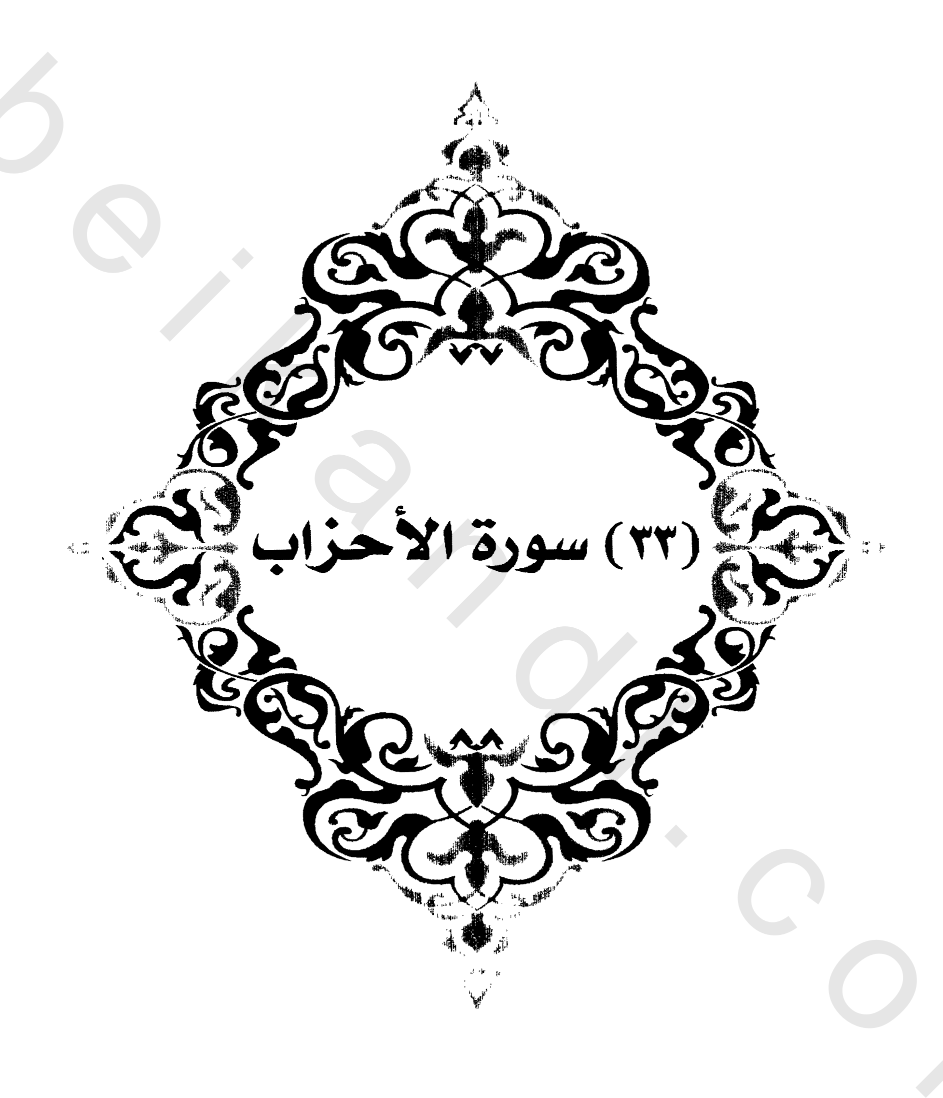


(٣٣) سورة الأحزاب

من الإشارات الكونية في سورة الأحزاب

(١) الإشارة إلى استحالة أن يولد إنسان وفى جوفه قلبان، وذلك مما يؤكده العلم الحديث؛ حيث إنه حتى فى حدوث تشوهات جسدية فى إنسان فإنه يستحيل وجود قلبين فيه؛ وذلك لدقة تشابك الأوعية الدموية ومسارات الدم بينها.

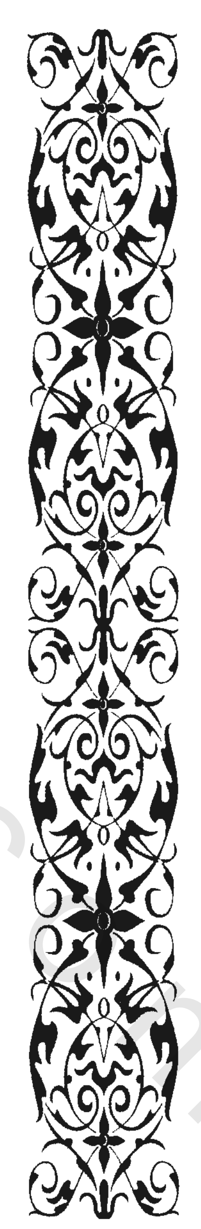
(٢) الإشارة إلى أن الريح تجرى بأمر الله، وهى من جنوده (سبحانه وتعالى) يرسلها على من يشاء.

(٣) الإشارة إلى حالة من يجيئه الموت بدوران العيون.


﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾
[يوسف: ١٠٥]

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ... ﴾

[الأحزاب: ٤]



يقول صاحب الظلال (رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم) فى استعراض غير مسبوق فى تفسير قوله (تعالى): ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ... ﴾ [الأحزاب: ٤] جاء فيه: إنه قلب واحد، فلا بد له من منهج واحد يسير عليه، ولا بد له من تصور كلى واحد للحياة وللوجود يستمد منه، ولا بد له من ميزان واحد يزن به القيم، ويقوِّم به الأحداث والأشياء. وإلا تمزق وتفرق ونافق والتوى، ولم يستقم على اتجاه. ولا يملك الإنسان أن يستمد آدابه وأخلاقه من معين، ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر، ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية من معين ثالث، ويستمد فنونه وتصوراته من معين رابع... فهذا الخليط لا يكوِّن إنسانا له قلب، إنما يكوِّن مزقا وأشلاء ليس لها قوام!.

وصاحب العقيدة لا يملك أن تكون له عقيدة حقا، ثم يتجرد من مقتضياتها وقيمها الخاصة فى موقف واحد من مواقف حياته كلها، صغيرا كان هذا الموقف أم كبيرا، لا يملك أن يقول كلمة، أو يتحرك حركة، أو ينوى نية، أو يتصور تصورا غير محكوم فى هذا كله بعقيدته - إن كانت هذه العقيدة حقيقة واقعة فى كيانه - لأن الله لم يجعل له سوى قلب واحد، يخضع لناموس واحد، ويستمد من تصور واحد، ويزن بميزان واحد. لا يملك صاحب العقيدة أن يقول عن فعل فعله: فعلت كذا بصفتى الشخصية، وفعلت كذا بصفتى الإسلامية! كما يقول رجال السياسة أو رجال الشركات، أو رجال الجمعيات الاجتماعية أو العلمية وما إليها فى هذه الأيام، إنه شخص واحد له

قلب واحد، تعمره عقيدة واحدة، وله تصور واحد للحياة، وميزان واحد للقيم، وتصوره المستمد من عقيدته متلبس بكل ما يصدر عنه فى كل حالة من حالاته على السواء. وبهذا القلب الواحد يعيش فردا، ويعيش فى الأسرة، ويعيش فى الجماعة، ويعيش فى الدولة، ويعيش فى العالم، ويعيش سرا وعلانية، ويعيش عاملا وصاحب عمل، ويعيش حاكما ومحكوما، ويعيش فى السراء والضراء... فلا تتبدل موازينه، ولا تتبدل قيمه ولا تصوراته؛ ولذلك قال (سبحانه):

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ... ﴾ [الأحزاب: ٤].

من الدلالات العلمية للنص القرآنى الكريم

ماهية القلب

يعتبر القلب مضخة عضلية توفر الضغوط اللازمة لدفع الدم إلى مختلف أجزاء الجسم لتغذيتها بكلٍّ من الأكسجين والمواد الغذائية، ومن أجل ذلك يستمر القلب فى التضاغط والانبساط بطريقة دورية منتظمة تستمر طيلة حياة الفرد منا دون توقف؛ كى لا يتوقف تدفق الدم إلى مختلف خلايا الجسم فتموت، خاصة الخلايا شديدة الحساسية مثل خلايا المخ، فهى لا تتحمل توقف وصول الدم إليها للحظة واحدة؛ وذلك لحاجتها الشديدة إلى كل من الجلوكوز والأكسجين، بينما خلايا أخرى من مثل خلايا العضلات والجلد يمكن أن تتحمل توقف تدفق الدم إليها لفترات أطول دون أن تتهددها أخطار الموت.

ويتكون «**قلب الإنسان**» من أربع غرف تفصلها أربعة نظم من نظم الصمامات الضابطة لحركة تدفق الدم من القلب وإليه دائما فى اتجاه واحد، وهذه الغرف الأربع هى الأذينان الأيمن والأيسر، والبطينان الأيمن والأيسر، والأذينان يتميزان بصغر الحجم وبجدار رقيق نسبيا، ويتلقيان الدم من العروق الرئيسية فى الجسم ليفرغاه فى البطينين: الأيمن فى الأيمن والأيسر فى الأيسر! أما البطينان فهما أكبر حجما وأسمك جدارا وأقوى عضلات.. وعندما ينبسط البطينان ينخفض الضغط بداخل كل منهما فيشجع ذلك على تدفق الدم من الأذينين إليهما، كما يساعد انقباض الأذينين على إفراغهما مما قد يتبقى فيهما من الدم.

والبطينان الأيمن والأيسر هما عضلتان فائقتا القوة، وعندما ينقبضان فإنهما يدفعان الدم متدفقا إلى جميع أجزاء الجسم عبر شبكة الشرايين والأوردة التى يقدر

مجموع أطوالها بآلاف الكيلومترات، وتكفى فى ذلك الإشارة إلى أن طول الأوعية والشعيرات فى الدورة الدموية الصغرى يتراوح بين ٩٠،٠٠٠ و١١٠،٠٠٠كيلومتر، وأن عددها يصل إلى حوالى الثلاثين بليونا. والصمامات الفاصلة بين كل أذين وبطينه لا تسمح بتحرك الدم إلا فى اتجاه واحد فقط، ولا تسمح بمروره فى عكس هذا الاتجاه.

وبالمثل توجد صمامات ضابطة لاتجاه تدفق الدم فى كل من **«الشريان الأبهر ـ Aorta»** و **«الشريان الرئوى ـ Pulmonary Artery»** تعرف باسم **«الصمامات الهلالية ـ Semilunar Valves»**. والأبهر هو الشريان الرئيسى الذى يحمل الدم من البطين الأيسر إلى باقى أجزاء الجسم، بينما الشريان الرئوى يحمل الدم من البطين الأيمن إلى الرئتين، والصمامات الهلالية تمنع الدم فى الحالتين من الرجوع إلى البطينين، ولكن إذا حدث أدنى خلل فى عمل هذه الصمامات فإن كفاءة القلب كمضخة للدم تتأثر بذلك، وقد يصاب القلب فى هذه الحالة بعدد من الأمراض التى منها تضخم حجم القلب.

وعطب الصمامات يمكن تشخيصه بسهولة لتغير صوت تدفق الدم عبرها، وإحداثه عددا من الأصوات الغريبة التى تعرف باسم **«لغط القلب ـ Heart murmurs»**، وبالمثل إذا ضعف البطينان بسبب **«الخمول ـ Infection»** أو الأضرار الناتجة عن الأزمات القلبية، أو عن قلة الحركة فإن قدرة ضخ القلب للدم تتناقص، ويبدأ المريض فى الشعور بآلام فى الصدر، وبصعوبة فى التنفس، والشعور بالإجهاد السريع.

والسبب فى الشعور بآلام الصدر هو نقص كمية الدم الواصلة إلى عضلة القلب عن القدر المطلوب، وإذا استمر الحال على ذلك فإن أجزاء عضلة القلب التى لا يصلها القدر الكافى من الدم تموت. أما كرشة النفس، والشعور بالإجهاد بسرعة فإنهما ينتجان عن عجز القلب عن ضخ كميات الدم بكفاءة إلى كلّ من الرئتين والعضلات وباقى أجزاء الجسم. ويتلقى النصف الأيمن من القلب الدم من مختلف أجزاء الجسم ويضخه عبر الشرايين الرئوية إلى الرئتين لتبادل ما به من ثانى أكسيد الكربون مع أكسجين الهواء الداخل إلى الرئتين عن طريق التنفس، وتسمى هذه الدورة باسم **«الدورة الرئوية ـ Pulmonary circulation»**، بينما الجزء الأيسر من

القلب ـ وهو الأكبر والأقوى ـ يتلقى الدم المؤكسد من الرئتين ويدفع به إلى باقى الجسم عبر الشريان الأبهر، وتعرف هذه الدورة باسم «**الدورة المجموعية ـ Systemic Circulation**». وهذه الدورة للدم مسئولة عن تبادل الغازات والمواد الغذائية والنفايات فى كل أجزاء الجسم ما عدا الرئتين.

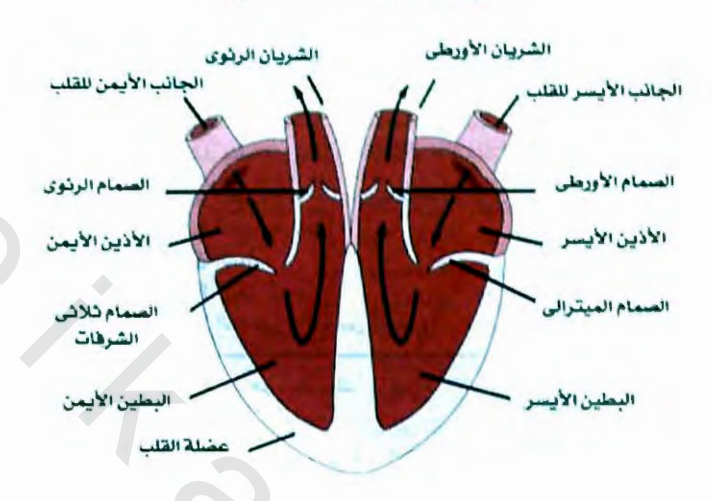
هل يمكن للفرد الواحد أن يكون له قلبان؟

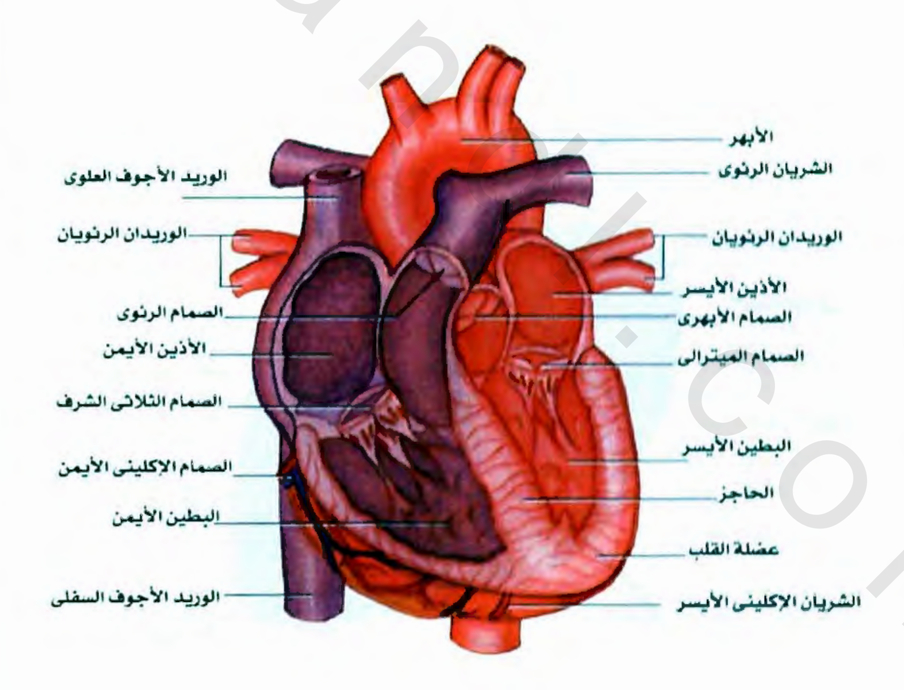
والعلوم الطبية تثبت أن مع المركزية العظمى للقلب فى جسم الإنسان يستحيل أن يوجد لفرد واحد قلبان فى جوفه، وقد ذكر الأخ الكريم الدكتور «يحيى إبراهيم محمد» (مساعد مدير مستشفى الدكتور سليمان فقيه بجدة) أن المراجع الطبية لم تسجل حالة واحدة لإنسان ذى قلبين، مع وجود العديد من حالات التشوه الخلقى؛ وذلك لاستحالة تكون قلبين لجنين واحد حتى فى حالات التوائم الملتصقة المعروفة باسم «التوائم السيامية»، فقد يكون لكل واحد منهما قلبه، وقد يشتركان فى قلب واحد. وهذا السبق القرآنى بتأكيد هذه الحقيقة العلمية يعتبر ومضة من ومضات الإعجاز العلمى فى كتاب الله، وذلك بقول ربنا (تبارك وتعالى):

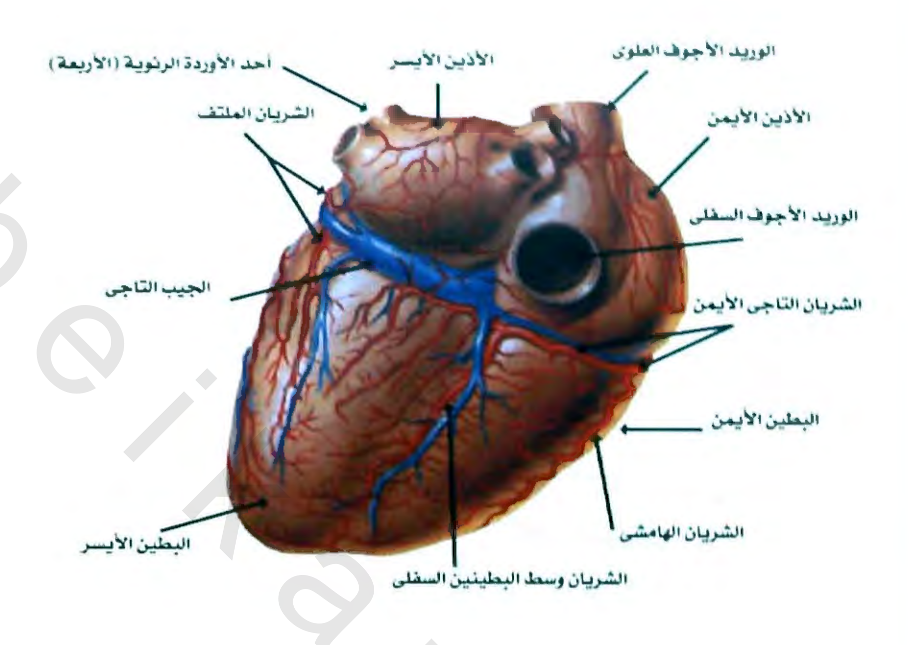
﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ... ﴾ [الأحزاب: ٤] وتزداد هذه الومضة القرآنية المعجزة وضاءة باستخدام هذا النص الكريم للفظة (رجل) دون سواها للإشارة إلى الإنسان؛ وذلك تحاشيا لإشراك المرأة فى هذا المثل؛ والتى قد تكون حاملا وتحمل فى جوفها بالإضافة إلى قلبها قلب جنين أو قلوب أكثر من جنين واحد، خاصة وأن علم الأجنة يثبت أن قلوب الأجنة تبدأ فى التخلق بصورة أولية مع بداية الأسبوع الثالث من أعمارها، وتبدأ فى الانقباض والانبساط قبل وصولها إلى نهاية الأسبوع السادس.

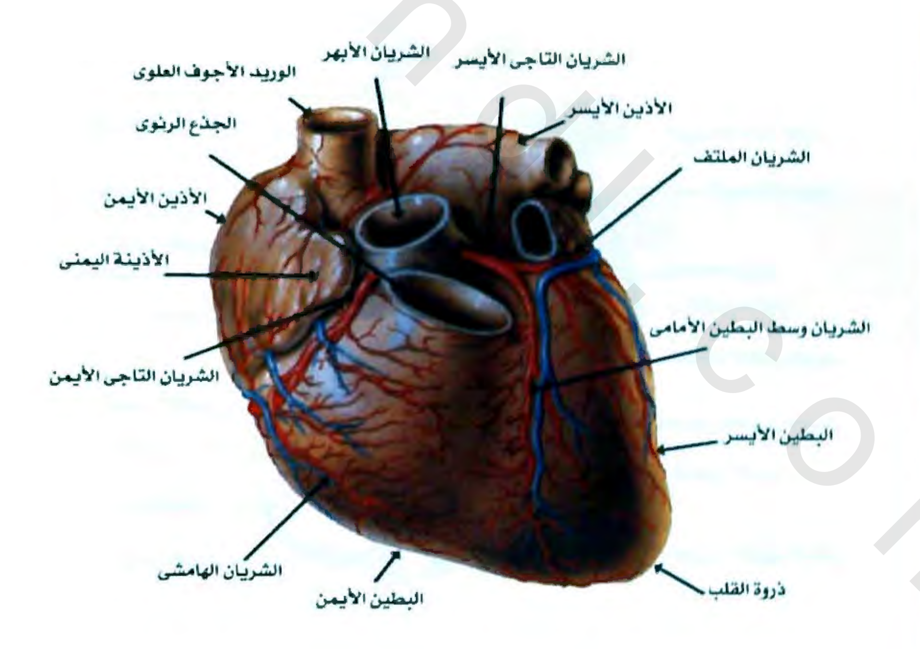
والنص الكريم الذى نحن بصدده جاء فى مقام التشبيه وضرب المثل، ولكن كعادة القرآن الكريم التزام الحق فى كل شىء تأتى الأمثال، كما تأتى آيات القرآن كلها دقيقة دقة علمية فائقة، حتى يبقى هذا الكتاب الخالد مهيمنا على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وتبقى هذه الحقائق العلمية التى أنزلت من قبل أربعة عشر قرنا شاهدة لكل ذى بصيرة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله (صلى الله عليه وسلم).

تدفق الدم خلال صمامات القلب الطبيعية






أحد الأوردة الرئوية (الأربعة)
الأذين الأيسر
الوريد الأجوف العلوى
الشريان الملتف
الأذين الأيمن
الوريد الأجوف السفلى
الجيب التاجى
الشريان التاجى الأيمن
البطين الأيمن
الشريان الهامشى
البطين الأيسر
الشريان وسط البطينين السفلى


الشريان الأبهر
الشريان التاجى الأيسر
الوريد الأجوف العلوى
الأذين الأيسر
الجذع الرئوى
الشريان الملتف
الأذين الأيمن
الأذينة اليمنى
الشريان وسط البطين الأمامى
الشريان التاجى الأيمن
البطين الأيسر
الشريان الهامشى
ذروة القلب
البطين الأيمن